دولــة ليبيــا

جامعة الزاوية

قسم علم الاجتماع

elbaheth@univ-eloued.dz

(أزمــة الإمبريقية في علم الاجتمـاع)

اعداد الدكتور

نوري محمد احمد شقلابو

استاذ علم الاجتماع المشارك

ورئيس فسم علم الاجتماع كليه التربية الزاوية

2019 م

الملخص

في هذا البحث سوف نتعرض الى موضوع يعتبر بالغ الاهمية في علم الاجتماع والذي يشكل اساس لبناء المعرفة البحثية بهذا العلم واحد انواع البحث فيه وهو البحث الامبريقي وهذه الاخير يشكل الى حدا ما اخفاق لتطور الفكر الاجتماعي والتنظير فيه بشكل خاص . وسوف نتناول ذلك في عدد من المحاور بداية بالبحث في العوامل والأسباب التي وراء تطور التوجه الامبريقي بعلم الاجتماع ثم الى المظاهر والملامح هذه الازمه والتى طرح الكثير منها المفكر والعالم " س . رايت ميلز " ، ونختم هذه البحث برؤية الباحث لهذه الازمه والنتائج التي توصلنا اليها والتي لاشك أنها سوف نستفيد منها كثيراً في الخروج ببعض الافكار حول هذه الازمة والتي يكون الغرض منها هو زيادة اثراء المعرفة حول هذا الموضوع بعلم الاجتماع.

الكلمات المفتاحية : أزمة . الامبريقيه . الاسباب والعوامل . ملامح الازمه

In this research, we will address a subject that is very important in sociology which constitutes the basis for building knowledge of this science. One type of research is the empirical research, and this latter is to some extent a failure to develop the social thought and the theory in particular. We will address this in a number of axes, beginning with research on the factors and reasons behind the development of the empirical approach to sociology and then the features and features of this American crisis, many of which were put forward by the researcher and the sociologist, "C. Wright Mills." This research concludes with the researcher's vision of this crisis and the results we reached which will undoubtedly benefit many

of them to come up with some ideas about this crisis, the purpose of which is to increase the enrichment of knowledge of subject sociology.

Key words: Crisis. Amphitheater. Causes and factors. Features of crisis.

المقدمـــه

قبل النعرف على أزمة الامبيريقية من حيث معالمها وأسبابها ونتائجها ، تجدر بنا الإشارة أولاً إلى تعريفها في علم الاجتماع فهي : تعني توجيه البحث الاجتماعي نحو Empiricism العمل الميداني أو التطبيقي ، أي اعتماد الباحث على كلاً من الملاحظة لجمع الحقائق والبيانات إلى جانب استخدامه لتجربة بأعتبارهما من أدوات البحث التى يمكن الاحتكام إليها فقط في اختبار الفروض التي يستند إليها الباحث في ضوء أطر نظرية محددة (1) . ولقد تبنى نهج الامبيريقية كمدخل منهجي بحثي في علم الاجتماع فريق من المؤيدين و ذلك لإستخدامه في دراسة الظواهر الطبيعية وهم اصحاب (المذهب الطبيعي) Naturalism ، وهو المذهب الذي يؤكد أن علم الاجتماع لكي يكون علماً فان لابد له أن يستخدم مناهج العلوم الطبيعية في دراسة المجتمع وظواهره المختلفة . وأنصار ذلك المذهب يؤكدون على استخدام التجربة وذلك للتحقق الامبيريقي " الميداني " من الوقائع الاجتماعية والتنبؤ بالظواهر وتركيبتها في المستقبل ، والاهتمام بالتحليلات الاحصائية والتعميمات الاستنباطية ، ويرى أنصار هذا المذهب أن الأفراد وحياتهم داخل المجتمع جزء لا يتجزأ من الطبيعة (2) .

ويوضح عالم الاجتماع " **س. رايت ميلز** " C. Wright Mills في مؤلفه " الخيال السوسيولوجيا " نمط البحث فيه من خلال الامبيريقية حيث يعتمد بصورة أساسية على تبني مناهج العلوم الطبيعية والنظر إليها على أنها بمثابة برنامج عمل داخل علم الاجتماع ، فالامبيريقية تعتمد بهذه الصورة على جمع البيانات وإجراء المقابلات مع مجموعة من الأفراد يتم اختيارهم وفق اسلوب العينات بالإضافة إلى تصنيف الإجابات التي يتم الحصول عليها من عينة المبحوثين وتفريغها على بطاقات لمعالجتها احصائيا ، وذلك بقصد كشف العلاقة بين المتغيرات ،

أما النتائج التي يتم الحصول عليها فهي تأتي في صورة معادلات إحصائية توضع في جداول للكشف عن دلالتها الواقعية من عدمها (3) .

وفي هذا البحث والذي تم تقسيم الى عدد من المحاور جاء هدفها هو توضيح هذه الازمة التى يمر بها هذا العلم ومن خلال النهج الامبريقي الذي تبنته دراساته وابحاثه والتى هي في الواقع اجهضت العلم وابعدت تطوره الفكري وجعلته يدور في فلك ليس فلكه الذي جعل من اجله ..خاصة فيما يتعلق بمسألة التنظير لهذا العلم .

اولاً : العوامل والأسباب التي وراء تطور التوجه الامبريقي :

هناك جملة من العوامل التى كانت ورا ء تطور هذا التوجه في الابحات الاجتماعيه نذكر منها :

أ – الاتفاق في فلسفة البحث الامبيريقي مع النزعة التحليلية التي أصبحت احدى السمات البارزة بالدراسات الاجتماعية للعصر الحديث ، فقد اصبح من الأمور المتفق عليها أن الاحداث والمواقف التى تمر على الناس متشابكة ومعقدة ولابد لفهمها فهما صحيحاً لابد من أرجاعها إلى وحداتها الاولية وتحليلها إلى عناصرها تحليلا قد يكون بالتفكيك المادي لأجزائها .

ب – ايضاً ربط بعض المفكرين بين ظهور الاتجاه الامبيريقي وبين الانتقادات التى وجهت إلى المذهب التاريخي الذي يعتمد على النظرية الكلية الشاملة في تفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية ، والذى يقوم على دعاوي غير قابلة للاختبار والتحقق التطبيقي .

ج – كذلك التقدم الذي أحرزته العلوم الطبيعية في القرن التاسع عشر والرغبة في الاستعانة بالاساليب والإجراءات المنهجية التي تستخدم في العلوم الطبيعية , وذلك في دراسة ظواهر المجتمع ومشكلاته .

د – الحاجة إلى تحرير الدراسات السوسيولوجية من الارتباطات الايديولوجية والتأكيد على ضرورة التزام الباحث الاجتماعي بدراسة الواقع الاجتماعي دون أن يختار خطأ أيديولوحيا محددا ينطلق منه في تحليله لهذا الواقع ودون ان يصوغ رؤية محددة لنظام اجتماعي جديد .

هـ – الإهتمام الزائد بالجوانب التطبيقية للعلم والرغبة في توجيه البحوث لحل المشكلات الى تواجهها الجماعات والهيئات داخل المجتمع .

و . الرغبة في التحقق من مدى مصدقية النظريات والتوجهات الكبرى لعلم الاجتماع.

كل هذه العوامل أثارت استخدام الاتجاه الامبيريقي في علم الاجتماع الكثير من التساؤلات والشكوك حول مدى جدواه في دراسة موضوعات علم الاجتماع ألامر الذى أدى الى ما أطلق عليه أزمة الامبيريقية وسوف نعالج تلك الأزمة من خلال ملامح دالة على تلك الازمة والتعرف على الاسباب المؤدية لها ، وايضا النتائج المترتبة على ذلك (4) .

ثانياً : مظاهر وملامح ازمة الامبريقيـة :

إذا كان تبني الاتجاه الامبيريقي في علم الاجتماع قد آثار الحديث عن أزمة الامبيريقية فإننا نجد قيام **العالم** " **رايت ميلز** " في مؤلفه " الخيال السوسيولوجي " بتوضيح ملامح أزمة الامبيريقية من خلال اشارة واضحة إلى أن أصحاب النزعة الإمبيريقية المجردة يهتمون بفلسفة العلم وذلك بدلا من دراسة المجتمع ، بالاضافة إلى أن علم الاجتماع بتبنيه لهذه النزعة فشل في تقديم تصور حقيقي للانسان والمجتمع . فالامبيريقيين يقوموا بتحويل علم الاجتماع إلى علم طبيعي بهدف الوصول إلى فهم شكلي للانسان والذي يفتقد لفهم حقيقي لعلاقة الانسان بالمجتمع ، فالامبيريقية كما يؤكد **ميلز** تقوم على تحديد المشاكل التي يمكن دراستها من خلال المنهج العلمي (5).

وتأكيدا لذلك يشير **ميلز** إلى أن ما كشفت عنه الدراسات والبحوث السوسيولوجية من قصور واضح في تقديم تشخيص محدد للمشكلات الاجتماعية الهامة والحقيقية ، فأصحاب النزعة الامبيريقية لم يقوموا بدراسة المشاكل الهامة والقضايا الانسانية المعاصرة لأنها لا تمثل محور اهتمام البحث والدراسة ومن خلال هذه النزعة , وذلك عند الاستعانة بها في علم الاجتماع (6) . إذ نجد الطريق المسدود الذي تدفع التجربة علم الاجتماع اليه حيث يتم التركيز من جانب علماء الاجتماع على مشاكل لا قيمة لها بينما تظل المشاكل الهامة في المجتمع الانساني دون بحث أو دراسة كمشكلة التنمية **Development** مثلاً ، ومن هنا فقد دفعت التجربة علم الاجتماع

إلى طريق مغلق وحولته إلى علم وصفي يقتصر على جمع البيانات التي تفتقر إلى التناسق والموضوعية (7).

ومن الملامح الأخرى لأزمة الامبيريقية في علم الاجتماع مايشير اليه **ميلز** كذلك من خلال توضيحه لخصائص الاتجاه الامبيريقي حيث يؤكد على أن مرحلة الانتقال من الفلسفة الاجتماعية إلى مرحلة علم الاجتماع الأمبيريقي **تنحصر في عدة خصائص والتى من اهمها :**

أ – هناك تأكيد على الانتقال من دراسة التنظيمات إلى دراسة السلوك الواقعي للأفراد وأن كان **ميلز** يرى أن السلوك الواقعي للأفراد لا يمثل الوحدة الاساسية للدراسة من خلال الاتجاه الامبيريقي هذا بالاضافلة إلى ابتعاد الباحثين عن دراسة المشكلات المتصلة بالبناء الاجتماعي .

ب – دراسة الموقف والمشاكل الاجتماعية المتكررة ، ويرى **ميلز** في هذا الصدد أنه يتم الاقتصار على المتغيرات التي تفيد في البحث الاحصائي ، وهذا من شأنه يجعل منهج البحث غائياً بدلا من كونه وسيلة للحصول على حقائق تفيد في إثراء النظرية الاجتماعية وتطويرها.

ج – عدم الاقتصار على دراسة قطاع واحد وأنما لابد من ربطه بالعديد من القطاعات الاخرى ، إذ يرى **ميلز** ان ذلك كان بهدف الوصول إلى الارتباطات الاحصائية بين المتغيرات.

د – دراسة الاحداث الاجتماعية المعاصرة دون دراسة ماضيها وذلك لسهولة الحصول على البيانات التي يحتاجون اليها (8) . ولقد كان **ميلز** يهدف من توضيح خصائص الاتجاه الامبيريقي الى أبراز جوانب الضعف في هذا الأتجاه ، وكذا انتقاد استخدامه في علم الاجتماع وذلك لانه يستخدم بصورة مجردة دون اعتبار الفروق بين علم الاجتماع والعلوم الطبيعية ، هذا من ناحية , ومن ناحية أخرى تتمثل أزمة الامبيريقية في أن ماتم إنجازه في علم الاجتماع – من خلال الاستعانة بالاتجاه الامبيريقي – مجرد توجهات عامة نحو جمع البيانات ، حيث العديد من المفاهيم والقليل من النظريات الصادقة , والكثير من الآراء ووجهات النظر والمداخل والقليل من الاستنتاجات . **فأزمة الامبيريقية في علم الاجتماع تبدو واضحة في الانفصال القائم بين النظرية والمنهج** , و في الاتجاه نحو صياغة النظريات الكبرى العقيمة التي تستند إلى تبنى الاتجاه الامبيريقي في معالجة قضايا علم الاجتماع .(9) و في هذا السياق يشير **ميلز** كذلك الى أن هناك تحليلات وتعليقات كثيرة داخل مدارس العلوم الاجتماعية حول مدى أهمية وجدية البيانات الامبيريقية في حالة عدم استنادها الى نظرية ما ، ومن ناحية أخرى وحول مدى أهمية وجود نظرية فارغة من البيانات ، فالنظرية تصبح هامة في تفسير النتائج الاحصائية والبيانات الامبيريقية ، وفي هذا الشأن يحدثنا **ميلز** عن التغيير الثوري في مجال دراسات الراي العام وما

أصبح عليه هذا المجال من طابع تقني وكمي لا يستند إلى نظرية كما يرى ان تلك الدراسات ذات طابع تجزئي متخصص يتميز بطبيعته النظامية ، أن دراسات الراي العام كانت تجرى في الماضي من خلال المنظور التاريخي النظري والفلسفي أما الآن فاننا نجد فريقاً من الباحثين يقوم بإجراء تلك الدراسات على نحو أمبيريقي بل ويتوصل إلى النتائج في صورة تقارير دون الاستناد الى نظرية توجه هذا العمل (10) .

كذلك يوضح لنا **ميلز** فشل هذا الاتجاه الذى لم يحدث تقدماً عند الاستعانه به في ميدان البحوث السوسيولوجية لدراسة المشاكل المهمة كالوعي الطبقي والوعي الزائف والطبقة الاجتماعية والاكثر من هذا ان اختيار قرى صغيرة كعينة للدراسة لا يمكن أن يساعدنا في فهم البناء الاجتماعي ككل للطبقة أو حتى المكانة (11) .

وهكذا اتضحت أزمة الامبيريقية في علم الاجتماع من خلال فشلها في دراسة موضوعات علم الاجتماع , وهذا ما برز بوضوح في الامثلة التى أشار اليها ميلز وذلك فيما يتعلق بدراسات وبحوث الراي العام ودراسة اثار وسائل الاتصال حيث يصعب دراسة تلك الموضوعات من خلال تبني الاتجاه الامبيريقي دون الاستناد الى نظرية توجه هذا البحث واذا كان الأمر كذلك فهناك اسباب أدت الى تلك الازمة في علم الاجتماع وهذا ما نريد ايضاحه عند حديثنا عن اسباب ازمة الامبيريقية .

ثالثاً : العوامل التي وراء ازمة الامبريقية :

إن استخدام الإمبيريقية في دراسة موضوعات علم الاجتماع ادى الى حدوث ازمة في الامبيريقية نفسها ومن خلال الشواهد التى طرحها ميلز في مؤلفه " الخيال السوسيولوجي " التى تم الاشارة اليها عند تناولنا لملامح تلك الازمة ومما يزيد الازمة تعقيدا عدم اتفاق علماء الاجتماع حول القضايا والمشكلات الهامة والجديرة بالبحث والدراسة بالاضافة الى اختلافهم حول الاهداف العامة لعلم الاجتماع الى جانب غياب الموجهات النظرية للدراسة التى يمكن ان تقود العمل الامبيريقي . (12) فعند غياب المبادئ العامة أو الموجهات النظرية التى يمكن ان ترشد عملية البحث وتزودنا باسلوب ملائم للتنظيم النظري المنسق لاكتشافات علماء الاجتماع كان بمثابة الاسباب الجوهرية في خلق ازمة الامبيريقية في علم الاجتماع ، فعلماء الاجتماع لديهم مهارة في

جمع العديد من البيانات الوصفية ولكن تنقصهم الوسائل العلمية لتصنيف ما يجمعونه من بيانات على نحو منظم (13).

ومن ناحية ثانية ترجع ازمة الامبيريقية الى الاختلافات القائمة بين المشتغلين بالعلم حول الطرق والادوات المنهجية الملائمة للدراسة فعلى سبيل المثال هناك اعتراضات حول الطريقة المناسبة لجمع البيانات وفي هذا الصدد نجد التاكيد على استخدام الاتجاه الامبيريقي مقابل الاتجاه الفينومينولوجي . كما ان هناك اختلافات كثيرة فيما يتعلق بالنظريات الكبرى لدى بارسونز وذلك مقابل النظريات المتوسطة المدى لدى **ميرتون** . وايضا هناك اختلافات تتعلق بالمناهج الاستنباطية مقابل المناهج الاستقرائية والمناهج الكمية مقابل المناهج الكيفية والدراسات ذات النطاق الواسع والنطاق الضيق (14) . وبالاضافة الى ماسبق ، فان هناك عوامل اخرى كانت السبب الرئيسي في ازمة الامبيريقية تتمثل في الاتجاه نحو التخصص الدقيق وتقسيم علم الاجتماع الى فروع متخصصة واستخدام النزعة الكمية في دراسات علم الاجتماع وصياغة القوانين فيه وهذا ماسنتناوله تفصيلياً في الأتي :

1 . تقسيم علم الاجتماع الى اقسام فرعية متخصصة :

إن جزءا من الازمة الحالية التى يمر بها علم الاجتماع قد نشأت من الرغبة القوية في استخدام مناهج وطرق العلوم الطبيعية في دراسة الظواهر الاجتماعية والانسانية وهذه ارتبطت بالرغبة والاتجاه نحو التخصص الدقيق وذلك تمشياً مع متطلبات العلم الحديث . ويمكن القول أن ماتم انجازه في مجال العلوم الطبيعية يرجع الى الامعان في التخصص ، الا ان هذا التخصص الدقيق في مجال العلوم الاجتماعية عامةً ادى الى انحصارها في دراسة موضوعات جزئية وابتعادها عماً هو انساني وانفصالها عن احداث الحياة الاجتماعية ومن الملاحظ ان التخصص الدقيق يزداد وضوحاً في علم الاجتماع فلم يعد الباحث السوسيولوجي متخصصاً في علم الاجتماع ككل ، أنما أصبح متخصصاً في فرع محدد ومثال ذلك علم اجتماع الاسرة علم الاجتماع الحضري ، علم الاجتماع السياسي (15) .

وبعد تقسيم علم الاجتماع إلى فروع وهي سمة روج لها المفكرون البرجوازيون في اوربا والغرب الامريكي حيث يمثل كل فرع من هذه الفروع مجالا للبحث والدراسة منفصلاً عن بقية فروع العلم الاخرى . وتم الاشارة إلى هذا الوضع وذلك من خلال المشتغلين بالعلم(ASA) الاجتماع السنوي للجمعية الامريكية لعلم الاجتماع حيث يؤكدون على ذلك بقولهم : " إننا فقدنا

ترابطنا بعلم الاجتماع حيث انقسمنا إلى مجموعات مختلطة من المتخصصين وبالتالي انقسمنا الى العديد من التخصصات المختلفة ، واصبح كل منا يبحث في مجال دون ان يتصل بالاخر ، ويعد تقسيم علم الاجتماع الى فروع متعددة عاملا من عوامل أزمة العلم حيث أن الأمر يزداد تعقيداً نتيجة للفجوة بين البحث النظري والبحث التطبيقي أي الانفصال بين النظرية والواقع والانفصال بين البحث الكمي والبحث الكيفي " (16) .

والحقيقة أنه قد يترتب على انقسام علم الاجتماع الى فروع متخصصة كثير من المشكلات ما أدت الى صعوبة فهم وتفسير الظواهر المجتمعية ، وذلك نتيجة الابتعاد عن الرؤية الكلية والشاملة لمختلف جوانب الظاهرة المدروسة وعلاقتها بالظواهر الاخرى الموجودة بالمجتمع , اذ يتم التركيز على جانب واحد دون محاولة ربطه باجزاء البناء الاجتماعي .

2 . استخدام النزعة الكمية في الدراسات السوسيولوجية :

إن استخدام النزعة الكمية من ابرز أسباب أزمة الامبيريقية في علم الاجتماع نتيجة لتجاهل الفروق بين العلوم الطبيعية وعلم الاجتماع . ويؤكد أنصار الوضعية المحدثة * Neo – positivism أن علم الاجتماع علم طبيعي يدرس ظواهره بأستخدام المناهج المستخدمة في دراسة العلوم الطبيعية ، وان المبادئ والقوانين العامة لهذه العلوم يتم استخدامها في دراسة الظواهر الاجتماعية والطبيعية على حد سواء . كما يتم التأكيد على أن الطبيعة الديناميكية المتغيرة لظاهرة الاجتماعية فهي لا تعوق استخدام المنطق الرمزي والصياغة الرياضية والتعبير الكمي ، فهناك تأكيداً على استخدام النزعة الكمية والجوانب الكيفية كما يمكن ان تفرض المعالجات الاحصائية على الجوانب الكمية والكيفية للحياة الاجتماعية (17) .

ويحتاج استخدام المناهج الكمية في دراسة موضوعات علم الاجتماع إلى بيانات عددية كما هو الحال في العلوم الطبيعية ولكن بيانات علم الاجتماع بيانات كيفية لايمكن الكشف عن مدلولاتها من خلال المعالجات الاحصائية فقط ، ويعد " آرون سيكوريل " من أكثر النقاد اعتراضاً على تطبيق النزعة الكمية اي القياس الكمي في علم الاجتماع ، حيث يشير إلى أن عدم وضوح المفاهيم السوسيولوجية وغياب القواعد المحددة للدراسة يجعل من الصعب استخدام المناهج الكمية وتطبيقها في دراسة موضوعات علم الاجتماع ، فالقياس يفترض وجود مقولات ثابتة لتصنيف الظواهر الاجتماعية ولكن الظاهرة الاجتماعية كما نعلم غير ثابتة تخضع للتغير

المستمر تبعا لتغير الظروف الاجتماعية المتجددة (18) . كذلك عدم الاتفاق على تعريفات محددة لهذه الظواهر بين الباحثين والقائمين على تطور النظرية في علم الاجتماع ادى هذا الى تفاقم هذه الازمة.

ولقد أدت الانتقادات التى وجهت الى المناهج الكمية وامكانية استخدامها في علم الاجتماع الى إثارة ازمة الامبيريقية ، فالظواهر الاجتماعية لايمكن أن تخضع للقياس الدقيق والمعالجات الاحصائية وصياغتها في صورة معادلات رياضية ورسومات هندسية والا تعرضت تلك الظواهر

(*) لقد ظهر هذه الاتجاه في بدايات القرن العشرين في اطار علم الاجتماع الأمريكي و كان يؤكد ثلاثة مداخل : منها المدخل الوضعي للمعرفة (بمعنى الحصول على المعرفة عن طريق الملاحظة و ليس العقل) و النزعة الكمية, و المدخل السلوكي. و لقد كان هذا الاتجاه يبرز أهمية استخدام الاحصاء, كمنهج أساسي لعلم الاجتماع, وان يكون علما متحررا من القيم . المصدر:

Gordon marshall ,concise dictionary of sociology,op.cit.,p.353.

للتشويه والتحريف فاستخدام هذه المناهج كان يفترض عزل الأفراد عن سياقهم الاجتماعي والتاريخي ودراسة الظواهر الاجتماعية دراسة مجزئة .

3 . السعي الى وضع قوانين ذات صبغة ثابتة تستخدم في عملية التنبؤ :

إن رغبة المشتغلين بعلم الاجتماع منذ نشأته وذلك في التشبه بالعلوم الطبيعية لاكساب علمهم مكانة متميزة بين العلوم الاخرى جعلهم يتجاهلون الفروق المميزة بين علم الاجتماع والعلوم الاخرى ، وهذا ما بدأ واضحاً في اتجاه علماء الاجتماع نحو صياغة القوانين السوسيولوجية وتعميمها على كل الظواهر والمجتمعات الانسانية واستخدامها في قضية التنبؤ. وتأكيدا لذلك يذهب انصار الاتجاه الامبيريقي في علم الاجتماع الى الهدف الاسمى للعلم حيث يتمثل في صياغة نسق من القوانين التى تسهم في تفسير الظواهر والتنبؤ بوجودها على نحو دقيق ، ويعد ذلك المهمة الاساسية لعلم الاجتماع حيث أنه من خلال المناهج العلمية الموضوعية المستخدمة في دراسة السلوك الانساني نستطيع صياغة مجموعة من القوانين

الاجتماعية التى يمكن أن تسهم في تفسير السلوك الانساني إضافة إلى أن مهمة هذه القوانين تكمن في التنبؤ والسيطرة على مجريات الحياة الاجتماعية (19). وفي هذا الاتجاه كان " **جست كومت** " يؤكد اكتشاف قوانين التطور التاريخي (قانون الحالات الثلاث) التى ستساعدنا في فهم الحاضر والتنبؤ بالمستقبل وان هدف التحليلات السوسيولوجية الوضعية يتمثل في صياغة القوانين او التعميمات المتشابهة للقوانين في العلوم الطبيعية (20) .

وينظر الكثير من المشتغلين بعلم الاجتماع إلى أن معنى القانون كما لو كان مكافئاً لمعناه في العلوم الطبيعية ويرجع ذلك الى رغبتهم في تحقيق صفة العلمية للدراسات السوسيولوجية إلا أن واقع علم الاجتماع يشهد بان فكرة القانون تتخذ معنى لايمكن ان يكون مساوياً لمعناه حتى في العلوم الطبيعية انما العملية هي نسبية حتى في هذه العلوم والدليل على ذلك هو حركة الاكتشاف والجديد الذي نراه يتغير من يوم الى آخر . إن أهم ما يميز القانون العلمي هو استقلاله عن الإرادة الأنسانية ، فلو كان هناك قانون يحتم انتصار الطبقة العاملة في صراعها مع الطبقة الرأسمالية فان هذا القانون لا يتحقق بطريقة آلية وانما يتحقق بتدخل الإرادة الأنسانية متمثلة في كفاح الطبقات (21). ويرى " **ميلز** " أنه إذا كان رواد علم الاجتماع قاموا بصياغة قوانين للمجتمع وأن تلك القوانين يمكن تطبيقها على كافة المجتمعات فان وضع قوانين ثابتة لا يصلح في مجال العلوم الاجتماعية بصفة عامة وعلم الاجتماع بصفة خاصة وذلك لاختلاف البناءات الاجتماعية لكل مجتمع وتغيرها من فترة لاخرى فالقوانين في علم الاجتماع كما يؤكد ميلز ليست إلا تجريدات فارغة المضمون او استنتاجات غير واضحة المعالم (22) .

وعلى هذا فمن الصعب التوصل الى قوانين في مجال علم الاجتماع على نحو ما هو قائم في العلوم الطبيعية وذلك بسبب الطابع الوجودي للكائنات الانسانية والعامل الاجتماعي والثقافي الذى يعيشون فيه ، فالحياة الاجتماعية يتم تشكيلها من خلال افعال مقصودة عن طريق البشر فهم الذين يشكلون بأنفسهم التاريخ بالاضافة الى قدرتهم على القيام بتغيير انفسهم والعالم الذى يعيشون فيه . وعلى هذا فان المنهجية في علم الاجتماع يجب ان تكون مختلفة على نحو كيفي عن تلك الموجودة في العلوم الطبيعية وذلك بسبب خصوصية واختلاف الانسان عن الطبيعة . (23) .

وفيما يتعلق بامكانية التنبؤ بالظواهر الاجتماعية فالمعرفة في علم الاجتماع تختلف عن المعرفة في مجال العلوم الطبيعية بالاضافة إلى أن التفسيرات السوسيولوجية غير الكاملة فهي ما

هي إلا اوصاف موجزة أو مختصرة وبالتالي فان التنبؤ الدقيق بالظاهرة الاجتماعية يكاد يكون من الامور التى يصعب تحقيقها في علم الاجتماع فالانساق الاجتماعية انساق مفتوحة قابلة للتغير باستمرار (24) .

خلاصة النتائج :

هناك نتائج عديدة ترتبت على أزمة الامبيريقية في علم الاجتماع فاذا كان من بين اسباب تلك الازمة الاتجاه نحو التخصص الدقيق سواء بين العلوم الاجتماعية وبين فروع علم الاجتماع , فقد ترتب على ذلك تجاهل علماء الاجتماع لنتائج العلوم الاجتماعية الاخرى و ما توصل اليه الباحثون السوسيولوجيين في مناطق عديدة من العالم . وبدلا من تحقيق النمو والتطور الثقافي لعلم الاجتماع اصبح هناك قصور عن الاستجابة للتحديات العلمية الجديدة وما يطرأ على المجتمع من تغيرات .

فلم تؤد نزعة الانقسام بين العلوم الاجتماعية الى الانفصال علم الاجتماع عن نتائج تلك العلوم وحسب بل ادت الى عدم إستفادة علم الاجتماع من مناهج تلك العلوم في دراسة وتفسير الظاهرة الاجتماعية التى تحتاج الى جهود العلوم الاجتماعية الاخرى بغية فهم اكثر وتفسير ابعادها المعقدة والمتشابكة .

ونتيجة لنزعة الانقسام داخل علم الاجتماع اشار انصار ما بعد الحداثة الى ان " ازمة علم الاجتماع تتمثل في نهاية وانهيار النظرية السوسيولوجية وان النظرية السوسيولوجية ضلت طريقها وانها في عزلة فكرية واجتماعية هذا بالاضافة الى اشارة الكثيرين الى ان علم الاجتماع والنظرية السوسيولوجية اصبحا يعانيان من عزلة خطيرة " (25) .

إن رؤية انصار ما بعد الحداثة لازمة علم الاجتماع تتمثل في انفصال النظرية السوسيولوجية عن احداث المجتمع (عزلة مجتمعية) وانفصالها عن بقية فروع العلوم الاجتماعية (عزلة فكرية) كما تكشف لنا هذه الرؤية عن مدى استهجانهم للنزعة الكمية التى سيطرت على البحوث السوسيولوجية على حساب التحليلات الكيفية التى تتفق مع طبيعة الواقع الاجتماعي . واذا كان اغراق الباحثين في استخدام الاحصاءات وادوات التحليل الاحصائي كان من بين اسباب ازمة الامبيريقية فان ذلك لا يؤدي الى تقديم نتائج ذات دلالة وفعالية ، وذلك فيما يتعلق بالتفسير .

وفي محاولة من جانب " **أدوين سويزرلاند** " لتقييم مناهج ونتائج الابحاث في علم اجتماع الجريمة ذهب الى ان المناهج الاحصائية تعطينا نتائج من خلال الوصف الدقيق للظاهرة ولكن لا تفيدنا في تقديم شئ مثمر حول تفسير الظاهرة المدروسة فالاحصاء لا يساعدنا في تحديد المتغيرات الوسيطة (26) .

وفيما يتعلق بتأكيد الإتجاه الامبيريقي على السعي نحو كتابة وصياغة القوانين فقد أدى هذا إلى تحويل علم الاجتماع إلى علم مماثل للعلوم الطبيعية يحوي قوانين وصيغ تفسيرية ثابتة تصلح للتطبيق على مختلف المجتمعات وفي كل الازمنة , متجاهلا الخصوصية المجتمعية والتاريخية لما تم من صياغة للقوانين في شكل قوالب جامدة غافلاً بالتالي ما قد يطرأ على هذا المجتمع من تغيرات وظواهر مجتمعية جديدة تحتاج إلى تفسيرات تتلائم مع الواقع الجديد ، وبذلك يصبح علم الاجتماع غير قادراً على مسايرة ما قد يحدث في المجتمع من تغيرات تطرأ عليه .

ونذهب كما ذهب " الحسيني " إن الانسان كائن تاريخي أولاً وقبل كل شيء ، ولايمكننا فهم ما يحدث في عالمنا المعاصر دون التعرف على النشأة التاريخية لكثير من الظواهر والقضايا التي ألفنا وجودها وكأنها مسلمات لاتخضع للمناقشة . ومعنى ذلك أن تجاهل البعد التاريخي في أي دراسة سوسيولوجية يعني ايضاً اغفالاً لكيقية نشأة تلك الظواهر والمشكلات والافكار (27) .

الهـــوامش

1- Hake Bunkers , " Critical Theory and Empirical Research" , In ,David . M. Rasmussen (ed) , Handbook of Critical Theory, Oxford : Blackwell Publishers, 1996, p: 79.

2 – Gordon Marshall, concise Dictionary of Sociology , Oxford : Oxford University Press , 1994, p: 149 .

3 – C. Wright Mills, The Sociological , Harmondsworth, penguin, 1970, pp: ,60 – 68.

4 . عبد الباسط محمد حسن ، تشارلز رايت ميلز وفلسفة البحث في علم الاجتماع ، مجلة عالم الفكر ، العدد الثاني ، 1975م . ص 273 . 275

5 – C. Wright Mills, The Sociological , op cit, 1970, p: 67.

6 – ----------, The Sociological , op cit, 1970, p: 65.

7 – Joseph Loreto, Timothy Ripen, erases in Sociology : The Need For Darwin, New Brunswick – London; Transaction Publishers, 1991, p: 72

.

8 – C. Wright Mills, The Sociological , op cit, 1970, pp: 72 – 73

.

9 – Joseph Lopreato, Timothy Crippen , op cit, p: 72

.

10 – C. Wright Mills, The Sociological , op cit ,pp: 64 – 77.

11 – Ibid , pp: 60- 64

12- Bell Wendell,"the sociology of the future and the future of sociology ", international review of sociology, vol.9, issue.3, November 1999,pp: 2- 3

.

13- Joseph lopreato, timothy crippen, op. cit.,p: 60.

14- R. Geogre krik Patrick, et. Al., (1978), critical theory and the limits of sociological positivism, at:www.tryoung.com/archives, p: 15 .

15- احمد ابو زيد, "ازمة العلوم الانسانية" , مجلة عالم الفكر, العدد الاول,1970 ، ص 204-206

16- irving louis horowitz, "the decomposition of sociology", academic questions, vol.5,issue.2,spring 1992,p:32

.

17- James. T. duke, issues in sociological theory, New york: university press of America,1983,pp: 239-242

.

18- Lars Udehn," sociological theory and practice in crisis",op.cit.,pp: 22,23

.

19- James t. Duke, issues in sociological theory , op. cit.,p.246.

20- Christopher. G.A. Bryant, "positivism reconsidered", the sociological review Vol. 23,No.2,may 1975,p:402.

21- فؤاد زكريا, "عقبات في طريق العلوم الانسانية", مجلة الفكر المعاصر, العدد 590, 1970,ص ص 11,10.

22- C. Wright mills, the sociological imagination, op. cit., p:166.

23- G. Liewellyn Watson , Dillemas and contradictions in social theory, London : university press of America, 1981,p:71.

24- Lars Udehn, sociological theory and practice in crisis, op. cit., p. 28.

25- Joseph Lopreato , timothy Crippen , op. cit., p:57

.

26- Raymond Boudon , the crisis in sociology: problems of sociological Epistemology , translated by : Howard. H. Davis, London: Macmillan press ltd., 1980, p: 40.

27 . د . السيد الحسيني ، نحو نظرية نقدية ، بيروت : دار النهضة العربية ، 1985 ، ص21